كان يزعم انه رسول الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما
عابوه بقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فانه قد كان لسليمن
ثلاثمائة امراة حرة وسبعمائة سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لابيه داود عليه السلام مائة امراة
فلم يقدح ذلك في نبوته فكيف يعيبوا عليك ويجعلوه قادحا في نبوتك والمعنى وقد ارسلنا رسلا من قبلك
ياكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون وما
كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله هذا جواب لعبد الله بن ابي امية وغيره من المشركين الذين سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب ان المعجزة
الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد اتاهم رسول الله بمعجزات كثيرة يعجز عنها وعن مثلها البشر فما لهم
ان يقترحوا عليه شيئا وايضا ان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل مفوض الى مشية الله عز وجل فان شاء اظهرها
وان شاء لم يظهرها لكل اجل كتاب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزوله فاخبر
الله ان لكل قضاء قضاه الله كتاب قد كتبه فيه ووقت يقع فيه لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان لكل اجل اجله
الله كتاب قد اثبت فيه وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره لكل كتاب اجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة
لكل كتاب منها وقت ينزل فيه يمحو الله ما يشا ويثبت وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر اليوم ثم يامرهم بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه فاجاب
الله بهذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشا ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشا من الشرايع
والفرايض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشا من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله وقال ابن عباس يمحو الله
ما يشا ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التاويل ما روي
عن حذيفة بن اسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون
ليلة بعث الله اليه ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب
اذكر ام انثى فيقضي ربك ما يشا فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك ما يشا ثم يقول الملك
يا رب رزقه فيقول ربك ما يشا ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على امر ولا ينقص
اخرجه مسلم ق عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق
ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم
يبعث الله ملكا باربع كلمات يكتب رزقه واجله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا اله
غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها **فان قلت**

حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة م

هذا الحديث والذي قبله صريح بان الارزاق والاجال مقدورة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير
عما قدره الله في علمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب العبد شقيا
والشقي سعيدا وقد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله
يمحو الله ما يشا ويثبت **قلت** قد تقرر بالدلايل القطعية ان الله عالم بالاجال والارزاق وغيرها
وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال ان يموت
قبله او بعده وهو قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على
ان الاجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم تزيد في العمر باجوبة

منها

منها ان الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه في الاخرة وصيانتها عن
الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انها بالنسبة الى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون
سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعون سنة وقد علم الله في الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله
يمحو الله ما يشا ويثبت هو بالنسبة الى ما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا
والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر ايضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة
وكذلك العاصي ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ
بالله فيموت على ردته فينقلب الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت بما يختم الله
له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحو ذهاب اثر الكتابة
وضده الاثبات فمن العلماء من حمل الاية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شي يقتضيه ظاهر اللفظ فقال يمحو
الله ما يشا في الارزاق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان بالله والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن
مسعود فانهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل وروي عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي
ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت قد كتبتني من اهل الشقاوة فامحني منها واثبتني
في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشا وتثبت وعندك ام الكتاب وروي مثله عن ابن مسعود وقد ورد في
بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى
بسنده عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في اخر ثلاث ساعات يبقين من
الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشا ويثبت ومن العلماء من حمل معنى
الاية على الخصوص في بعض الاشيا دون بعض فقال المراد بالمحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر عوضا عن
الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بني ادم واقوالهم فيمحو الله ما يشا من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب
ولا عقاب مثل قول القايل اكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه
ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شي ليس فيه
ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو
والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشا
يعني من جا اجله فيذهب به ويثبت من لم يجي اجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشا من ذنوب عباده فيغفرها
وقال عكرمة يمحو الله ما يشا من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشا
يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته محاه وامسكه ومن
اراد بقاه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في اول السنة حكمها فاذا مضت السنة محاه واثبت حكما اخر
للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله ما يشا من الدنيا ويثبت الاخرة وقيل هو من المحن والمصايب فهي مثبتة
في الكتاب ثم يمحوها بالدعا والصدقة وقيل ان الله يمحو ما يشا ويثبت ما يشا لا اعتراض عليه لاحد يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد **فان قلت** مذهب اهل السنة المقادير وقد جف القلم بما هو كاين الى يوم
القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والاثبات **قلت** المحو والاثبات مما جف به القلم
وسبق به القدر فلا يمحو شيا ولا يثبت شيا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضا والقدر **مسئلة**
استدلت الرافضة على مذهبهم في البدا بهذه الاية قالوا ان البدا جايز على الله وهو ان يعتقد شيا ثم
يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشا ويثبت والجواب عن هذه الشبهة ان هذا مذهب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)